المجلة الدولية للإتصال الإجتماعي
ISSN : 2437 – 1181
EISSN : 2710 – 8139

جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
المجلد : 11 / العدد : 04 (2024) ، ص 257 – ص 267

آليات التأثير والإقناع في مواقع التواصل الاجتماعي

Mechanisms of influence and persuasion on social media

زينة بصغير* [1] ، غمشي بن عمر [2]

[1] جامعة أحمد بن بلة وهران 1 (الجزائر)، zinezina1992@gmail.com

مخبر تحليل وتنميط وتصميم المنتجات الإعلامية في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية

[2] جامعة أحمد بن بلة وهران 1 (الجزائر)، elsabaihi@gmail.com

مخبر تحليل وتنميط وتصميم المنتجات الإعلامية في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية

تاريخ الاستلام: 2024/08/28 تاريخ القبول: 2024/12/15 تاريخ النشر: 2024/12/31

DOI: 10.53284/2120-011-004-015

ملخص:

تبرز مواقع التواصل الاجتماعيّ كقوة لها تواجدها وتأثيرها على يوميّات مجتمع الألفية الثالثة، لتنفي عن نفسها في كثيرٍ من الاحيان صفة الافتراض، يمكن بسهولة أن نتلمّس الكثير من تمثّلات هذا التأثير في السعي المحموم من طرف رواد هذه المواقع إلى اقتناء آخر الصيحات في مجال الهواتف الذكية، -وبالموازاة مع هذا- أدقّ البرامج الحاسوبية .

غير أنّ هذه المواقع ليست دائما بريئة في كلّ ما تقدّمه من محتوى، لأنّها هدفها الأساس هو بثّ ألوان من القناعات لخدمة دوائر بعينها، وفي سبيل هذا تعمد إلى مجموعة من الآليات تمرّر بها هذه القناعات.

تتغيّا هذه المقاربة رصد أهمّ الآليات التي تلجأ إليها مواقع التواصل الاجتماعيّ بغية إقناع المتابعين لها، والتي من أهمّها الدين والمرأة والعجائبيّ لما لها من تماس مباشر مع الوجدان الإنسانيّ.

كلمات مفتاحية: موقع، التواصل، الدين، المرأة، العجائبيّ.

Abstract:

Social networking sites emerge as a force that has its presence and influence on the daily lives of society in the third millennium, often denying itself the quality of assumption. We can easily sense many representations of this influence in the frantic pursuit of the pioneers of these sites to acquire the latest trends in the field of smart phones. -And in parallel with this- the most accurate computer programs.

However, these sites are not always innocent in all the content they provide, because their main goal is to broadcast types of convictions to serve specific constituencies, and to do this they resort to a set of mechanisms through which these convictions are conveyed.

This approach seeks to monitor the most important mechanisms that social media sites resort to in order to convince their followers, the most important of which are religion, women, and the miraculous, because they have a direct connection with the human conscience

* المؤلف المرسل

Keywords: Website; communication; religion; women; miracles.

1. مقدمة:

لم يكن الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط (Kant Immanuel) - وهو يردّ على رجل الدّين يوهان فريدريك تسولنر (Johann Friedrich Zöllner) في مقاله " **ما الأنوار**"- أنّه قد أشعل أعظم قبس نور في تاريخ الإنسان، ذلك أنّه أسّس للحظة الأنوار، التي ستتفتّق -بعد الحظة الهيجليّة - عن أعظم رجّة للوعي الإنسانيّ ممثّلةً في الحداثة، يقول كانط : « إنّ الأنوار هي خروج الإنسان من القصور/عدم الرشد الذي سببه لنفسه بنفسه. القصور هو إعاقة عدم استعمال المرء لعقله دون قيادة شخص آخر، وتسبيب شيئ للذات بالذات هو هذا القصور، عندما لا يكمن سبب هذا الأخير في ضعف في العقل، بل في غياب قرار وشجاعة استعمال العقل الذاتي دون قيادة شخص آخر، إن شعار الأنوار هو Sapere aude، لتكن لك الشجاعة لاستعمال عقلك الذاتي/الخاص »[1]، هي لحظة الوعي/ العقل الخالدة، التي رامت تحرير الإنسان والانطلاق به إلى آفاق رحبة من المعرفة، سيكون الإنسان إله نفسه، قاهراً للطبيعة، وسيتخلّص من مساحات الوهم الذي عشّش طويلاً دون أن يقدّم شيئاً يذكر للذّات .

ومهما قيل عن توحّش الحداثة وإفراطها في القوّة على حساب الثّوابت، وتكريسها للأطر والمقولات النهائية؛ فإنّ تاريخ الأفكار يشهد في كلّ مرّة عن ذلك النقد الثاتي الذي تمارسه ضدّ نفسها من الداخل، واعترافها بأنّها مشروعٌ إنسانيّ لا يكتمل، سيتمظهر هذا النقد الذاتيّ في تلك القطائع الإبستيمولوجية التي تمخّضت عن الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر، التي رامت اختصار الجهد العقليّ، وثورة الرقميات في الألفية الثالثة، التي رامت أوّلاً اختصار الجهد العقليّ، لتتحوّل بعد هذا إلى طوفان من الإكراهات الذي تستميت في إعادة تأثيث الوجود، بخلق نمط حياةٍ يتناغم مع مقتضيات العولمة الشاملة، لن تكون طبيعة هذه الإكراهات عنفيّة تقليدية كالتي صاحبتْ حملات الاستعمار بعيد النهضة، ولكنّها ستعتمد آليات توصف بالنّاعمة، هدفها التأثير وإقناع الإنسان بالقيم الجديدة، هذه الآليات ستكون موضوع هذه المقاربة، فما طبيعة هذه الآليات وما مرجعيتها، وما مدى قوّتها الإقناعية للمتلقّي، وما هي آثارها على الإنسان وقيمه ؟ .

2. الخوارزمية في مقابل الإنسان :

لعلّ فيلم «المنتقمون: عصر الألترون» (Avengers: Age of Ultron)إنتاج 2015؛ هو أكثر أكثر الأفلام التي جسّدت مواظبة هوليود على التحذير من مخاطر الرقميات، وبخاصّة حين امتلكت وعيا مستقلاً غدتْ من خلاله متفوّقة على الإنسان، وقادرةً على تطوير ذاتها، حيث يصوّر الفلم« كيف تمردت الآلة الذكية، «الترون»، على خالقها، «ستارك»، مؤمنة أن عليها سحق الإنسانية من أجل حماية الأرض»[2]، ما يشبه هذا كثيراً هو ما تمثّله مواقع التواصل الاجتماعيّ في حياة الإنسان، أنّها لحظة الاستسلام والسقوط الذي لا مفرّ منه، والذي لا يمكن تحديد إحداثياته من الخارج، فالكثير من السلوكات الإنسانية تنحى نحو الاتكالية في مجال المعلومة، مجافية بذلك البحث العلمي التقليدي الذي يتزيّا بالعنت في تحصيل المعلومة، ولهذا عشرات النماذج التي تقدّمها في كلّ حين المخابر

1 Berlinische Monatsschrift. Dezember-Heft 1784. S. 481-494 ،1784 . https://tadween.alhadath.ps/15/08/2023

2 حسام عاصي، أفلام الذكاء الاصطناعي، https://www.alquds.co.uk/2015/06/30 .

التي تعنى بالتعليم، وأخطر من هذا أنْ تتحوّل هذه المواقع إلى مرجعيّة يستقي منها الإنسان مختلف القناعات كالأخلاق والدين ونمط العيش، سيكون إفلاساً إخلاقياً مثلا أنْ تتولّى برامج الذكاء الاصطناعيّ مهمّة العدالة، والعلاقات الإنسانية، لأنّها ستنتج قيماً لا تشبه الإنسان، ولا تستجيب لحاجاته العاطفيّة والروحيّة، لأنّ التعامل - والحال هذه - يتمّ عبر أرقام .

يجيب البعض عن هذه المخاوف بأنّ هذا طبيعيّ في زمن كونيّة المعرفة ونسبيّتها، وأنّ هذه البرامج موضوعيّة في أطاريحها في ناحيتها المعرفيّة الصّلبة فقط، ولأنّ تحليل البيانات يتطلّب هذا، بيْد أنّه في الإمكان مواءمتها مع تطلّعات الذات الإنسانيّة بإعادة برمجة خوارزمياتها، « فاستنادا إلى مرجعيات متنوعة كالدين والمجتمع مثلاً، قد يضطر الانسان إلى التحيز »[1]؛ أي قصور في تأويل البيانات، وهنا تتدخّل موضوعية خوارزميات لتنهي تأثير الإيديولوجيا، غير هذا فإنّ الخوارزميات لا تخلو من حظ القيم الانسانية، « لأنّ من يكتب البيانات ويحللها سوف يكتب معها قيمه وإيديولوجيته إلى حدّ ما، فالعاطفة الإنسانيّة في أصل تكوينها تتميّز بالتكيّف مع معطيات الواقع، ومن ثمّة فليس هناك تعارض بين الحكم العقلاني والعاطفة »[2]، بل العاطفة ذاتها شكل من أشكال الحكم عقلاني .

في جدل كهذا - من شأنه تقرير مصير إنسانية الإنسان لقرونٍ قادمة - يستحيل الظفر بتخريجةٍ تنهي حيرة الإنسان، « لأنّها تؤدّي إمّا إلى أنْ يتخلّى الإنسان عن الرفاه الذي استحقّه بعد أن هرقته قرون من الوهم ، وإمّا أنْ يكتب نهايته كإنسان، ويتحوّل إلى مسخ، وهو بشكل من الأشكال عودة إلى البدائية التي لا تلتفت لثوابت الأبعاد الإنسانيّة كالهوية والروح والعاطفة »[3]، ويتفاقم هذا الخطر كلّما وهنت مناعة الجماعات الإنسانية، وانغلقت في خصوصيتها، لأنّ تأثير هذه المواقع كان أقلّ في الجماعة التي تتبنّى قيم المدنية من حريّة وانفتاح وتجاوز، ولا تعتبر كثيراً الثابت والمقدّس، بينما أضحى - تأثير مواقع التواصل- سلطة فعلية تزاحم السلط الحاكمة في بلدان التخلّف والشموليات، من خلال الرضوض التي طالت الكثير من قناعاته الدينية والهووية، ولا يخفى تمدّد هذا التأثير في مسامات العلاقات الإنسانية، لقد فوّض الإنسان في هذه الجغرافيات هذه المواقع كي يتحدّث باسمه .

لن تكون لحظة استسلام الإنسان لهذه المواقع بطريقة من قبل الاعتباط والصّدفة، بل ستكون عن دراسات غاية في الدقّة والشمولية والاستفاضة، تقوم بها مخابر كبرى تختصّ بتحليل ما يستجدّ من السلوكات والرؤى الإنسانية، تمهيدا لاحتوائها والسيطرة عليها استجابة لمطامح العولمة، وهو ما يتغيّاه هذا البحث من خلال تسليط الضوء على آليات التأثير والإقناع في مواقع التواصل،والتي قاربت تراهن عليها آخر الفرضيات أنْ تتحوّل إلى مرجعيات إنسانيّة تنافس المرجعيات التقليدية،

3. أمثلةٌ عن آليات التأثير:

أ. الدين واصطناع النص الحاجب :

1علياء التاجوري، الإنسان إلى أين؟، مجلة همسات فلسفية، ع9، يناير 2021، ص 269

2 نظيم ملّا خالد، وهم المدنية المعاصرة، تر سعاد الكيلاني، مطبعة سعدون، الكاظمية، ط2، 2020، ص 188

3 علياء التاجوري، الإنسان إلى أين؟،ص 271

يمثّل الـدين جملـة التعـاليم والطقـوس ذات الطـابع العقـدي والتعبّـدي التي تـنظّم علاقـة الإنسـان بمعبـوده، والإنسـان هـو الكائن الوحيد الذي لا يستطيع أنْ يتخلّى عن الدين، لأنّ حياته تحتاج إلى البعد الروحاني في حياته كي يحقّق توازنه النفسيّ، هذا التوازن الذي تفطّن إليه مشروع ما بعد الحداثة، وتجاوز من أجله مقولات الحداثة التي ألغت الدين لحساب الإنسان، وأيّاً كان ما يقال عن الخلاف بين الحداثة وما بعدها في موقفهما من الدين والتديّن، « فإنّ القاسم المشترك بينهما هو اتّفاقهما على عدم تسيّد الدين، وأنْ يكون محكوما لا حاكماً »[1]، من أجل هذا تحارب العولمة الدول الثيوقراطية؛ ومختلف أنواع الخطاب الدينيّ توجّساً من خطر تأثيره على الإنسانيّة، وتستميت في تدعيم المقاربات التي تجعله مهيْمناً عليه من طرف خطاب المعرفة .

على أنّ مواقع التواصل الاجتماعي قد تفطّنت لخطورة للخطاب الديني وتأثيره على المتلقّي، من هنا حاولت أنْ تحوّله إلى أداة إقناعيّة في سبيل تمرير أفكارها ومشاريعها كلٌّ وفق إيديولوجيّته التي يؤمن بها .

تركّز المواقع التي تتبنّى الخطاب الإسلامي على ثيمات من نوع الموت وفناء الحياة، وأنّ الإنسان سيلقى ربّه ليحاسب **صورة (1)**، لهذا تكثر من مقاطع الفيديو التي تصوّر موت الفجأة لعدد من المشاهير فيما كانوا يلقون خطاباتهم، أو يقضون متعة ما في يومهم، ولا يخلو أنْ يكون مقطع الفيديو هذا مصحوباً بآيات الترهيب من الموت من مثل : «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ »2، و«لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ»[3]، وغيرها من هذه الآيات التي تبشّع تكالب الإنسان على الدنيا وملذّاتها .

صورة (1)

1 نهى عبد الله السيد، تأملات في مشروع ما بعد الحداثة، الفارابي للنشر والإشهار، بغداد، 2014، ص 18

2 سورة الجمعة، الآية 8

3سورة ق، الآية 22

من زاوية أخرى تحاول هذه المواقع تقدّم جملة من مقاربات الدين للظواهر الاجتماعيّة، من خلال ظاهرة العقوق مثلاً، فصور الأمّهات اللواتي يقضين داخل دور العجزة، وشهاداتهنّ عن أبنائهنّ العاقّين، وبكائهنّ أمام الكاميرات كلّها تمثّل محتويات تحقّق أعلى نسبة من المشاهدة، وتساهم في القضاء على هذه الظاهرة .

كذلك لا يمكن أنْ تستغني هذه المواقع عن مقاطع الفيديو التي تصوّر المناظرات الشهرة بين رجل الدين، والمشاهير من اللّادينيين، وتحرص على المقاطع التي ينتصر فيها رجل الدين، لأنّها من خلال هذا تثبت أنّ معتقدها هو الحق، تزداد هذه النشوة بالانتصار حين يحصل التوافق بين خطابها الدينيّ، وبين ما تفرزه آخر الأبحاث العلمية، كما حصل في المناظر الشّهيرة بين الشيخ "أحمد ديدات" والقس " جيمي سواجارتالي " تناولت موضوع الاعجاز العلمي في القرآن من خلال الآية « ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ »[1]، والتي جاءت موافقةً تماما لآخر الأبحاث في مجال الجينات، وغير هذا كثير من تمثّلات التأثير .

وإذا كان ما أشرنا إليه يجسّد بشكل ما خطاب المؤسّسة الدينيّة الرسمية، فإنّ المؤسّسة الدينية غير الرسمية -ممثّلة في الراوية- لها أيضا مواقعها التي تتواصل من خلالها مع أتباعها، بل إنّها نجحت في أنْ تبني جسوراً مع المؤسّسة الرسمية أهّلتها لأنْ تكون سلطة موازية، فمن خلال مقاطع الفيديو التي تصوّر مواسم الاحتفاء بالأولياء، وحلق الذكر والحضرة، والحوارات مع أقطاب هذا الاتجاه، تقدّم الزاوية مقاربتها في شأن الإنسان والوجود، وتحاول أنْ تعطي الانطباع بتعاطيها مع معطيات العصر، والتجديد في خطابها .

سنكون كذلك إزاء مواقع تعتمد الشمولية والخطاب الأحادي في سبيل تكريس تعاليمها، وهي مواقع تضطلع كلّ دول العالم بمراقبتها ومحاربتها، لأنّه بؤرة قوية من خلالها ينتشر التطرّف الذي لا محالة سيتحوّل إلى سلوكٍ عنفيّ في مرحلة ما من تمدّد خطابه واستقوائه، ومن الإنصاف أنْ نذكر بأنّ هذا لا يختصّ دينٌ دون آخر، بل أثبت الواقع كونية ظاهرة التطرّف الديني، وبخاصّة بعد أحداث 11 سبتمبر .

تحظى المواقع التي تتبنّى الخطاب الديني المسيحي بدعمٍ ماليّ كبير من معاقل المسيحية في العالم على مختلف جغرافياتها، لهذا فهي لا تجد صعوبة -بالموازاة مع تبشيرها- في أنْ تعرض مختلف المساعدات السخيّة على الأتباع، وأكبر ما يركّز عليه هذا النوع من المواقع؛ الحديث عن المحبّة التي استمات المسيح ﷺ في تكريسها، سيكون المتلقّي إزاء كمّ هائل من الصور المسيح ومريم البتول عليها السلام، وستنتشر مقاطع الأفلام التي تظهر جانباً من تعاملات المسيح ﷺ مع الناس، ومختلف سلوكاته ومحنته، إنّ معاقل المسيحية -وبخاصّة الغربية- وإنْ كانت تهدف إلى تكريس العقيدة المسيحية ظاهراً، « فإنّها في جانبها البراغماتي تهدف إلى محاولة تبييض الممارسات العنفية التي ترتكبها ضدّ عدد من دول العالم في مختلف الجغرافيات، وتحسين صورتها أمام الرأي العام الأنساني »[2]، وهو ما يزيد في اليقين بأنّ المحتوى الديني لهاته المواقع ليس إلّا وسيلة لبث الأفكار .

1 سورة المؤمنون، الآية 14

2نهى عبد الله السيد، تأملات في مشروع ما بعد الحداثة، ص22

يبقى أنْ نقول أنّ المهمّة الأساس لأيّ محتوى دينيّ إنّما تتركّز على خلق " التأويل الحاجب " الذي يدّعي شرح وتفسير المقولات الدينيّة المؤسّسة، بينما يقدّم في عمقه الرؤى الدينية من خلال وعيه الخاص، وقد نجح إلى حدّ كبير في هذه التفصيلة، لأنّ نصوصاً من مثل نصوص سيّد قطب وابن تيمية أضحت نصوصاً تنافس النص المؤسّس تأثيراً، لأنّها غدت ما يشبه المرجعيّة الكونيّة وسردية كبرى ووحيدة للأتباع، من خلالها يقيّمون السلوك، وتبنى الرؤى، ويفسّر الوجود .

ب. النسوية والجنس :

في سنة1600م كتبت" ماري دي غورناي " (Marie de Gournay)مقالتها الشهيرة " مساواة الرّجال والنّساء"، والتي كانت أوّل صوت يتكئ على المعرفة في مقاربته لظاهرة دونية المرأة، ويؤسّس لحقوقها، سنكون بعد هذا إزاء حركة حقوقية تقودها المرأة ذات طابع عماليّ في ظلّ الحداثة، « ثمّ ما تفتأُ هذه الحركة تتغوّل وتنجح في نسج خطاب ذكيّ يتماهى مع الكثير من مجالات المعرفة والمذاهب الإنسانية الكبرى، لتصبح سردية كبرى قائمة بذاتها، لها أسسها وأدواتها التي تقارب من خلالها الإنسان وتفسّر حركته، ولها شرعية التواجد في مدرجات الجامعة بعد افتكاكها الغطاء الأكاديمي »[1]، وفي مرحلة ما من تغوّلها استطاعت هذا التيار أنْ يتخطّى كلّ الحواجز والأعراف، ويخلق فلسفة خاصّة بالجسد، الذي تعتبره ملكيّة خالصة للمرأة، تمارس من خلاله آدميتها، بعيدا عن ثقافة الأسرّة، ومتعة الحريم القروسطيّ .

سيجد المتلقّي نفسه إزاء كمّ هائل من المستوى الذي يقدّم ثنائية المرأة/ الجنس لترويج ألوان مختلفة من المنتجات :

- **منتجات ذات طابع فكريّ :** تتعلّق بحريّة المرأة، وحرية الجسد وممارسة الجنس والمخادنة، والاستقلال المادي للمرأة .
- **منتجات ذات طابع مادّي:** من مثل مساحيق التجميل، والملابس الداخلية، ومن المفارقة أنْ تتّخذ بعض الشركات المصنّعة لإطارات السّيارات من المرأة وسيلة لترويها .

وإذا كانت ثيمة المرأة والجنس لا تحظى بكثير اهتمام في ما وراء الضفّة لاعتبارات تتعلّق بطبيعة مناخ التحرّر، وإيلاف الذات الغربية لثيمة الجنس حتى أضحى من اليوميّ ، فإنّها في المجتمعات المنغلقة حيث يهيمن الخطاب الديني وسلطة الأعراف بما يتمخّض عنها من كبت؛ تلقى رواجاً هائلاً .

في سياسة النشر التي تعتمدها هذه المواقع؛ تدّعي أنها تحارب الإباحيّة، وتتّبع ظاهراً سياسة تسلّط العقوبات ضدّ ناشريّ المحتوى الإباحيّ، بيْد أنّها لا تقف على مفهوم واضحٍ لمعنى الإباحيّة غير ذلك الذي يعني ممارسة الجنس المباشر وما صاحبه من عري، وهو مفهوم يمكن أنْ يجد مبرّره في ثقافات عينيّة لااعتبار الأعراف كثيراً، وتغفل بالمقابل -هذه المواقع- أنواعاً من العري والإيحاءات الجنسية التي تكون في أحايين كثيرة أكثر تأثيراً من الممارسة التقليدية للجنس، ومن ثمّة فليست هذه إلّا محاولة من التقنّع والتخفّي والهروب من الحقيقة، التي مفادها الاشتغال على الجنس للتأثير.

1 هيما سعد، النسوية الجذور والتطلعات، دار ابن رشد ، عمان، 2008، ص 122

سنكون إزاء نوعين من التأثير:

- **التأثير الصامت للمرأة:** من خلال بثّ مقاطع لأشهر الراقصات، أو لنساء من العوام يعملن بمقابل تدرّه عليهنّ هذه المواقع، مقابل ألوانٍ مختلفة من التعرّي .
- **التأثير عبر الخطاب :** وهو ما تقوم به المؤثّرات من بيث مباشر يتناول قضايا المرأة والجنس، وقد يكون هذا الخطاب مؤثّثاً بالمعرفة كما هو عند كلّ من هبة قطب وفوزية الدريع- **صورة (2) و(3)**-، وقد يتخذ الصبغة السوقية حين يصدر من نساء ذات سقفٍ عقليّ متواضع، ومن خلال هذا الخطاب الساذج يرُمْنَ الوصول إلى أكبر شريحة في المجتمع .

صورة (2)

صورة (3)

إنّ من المتتبّع لطريقة اِشتغال هذه المواقع سيجد يقينا أنّها لا تشتغل اعتباطاً، بل وفق قواعد مدروسةٍ وبأدواتٍ تسعى لتحيينها في كلّ حين، وإذا أخذنا موقع فيسبوك كمثالٍ وحيدٍ باعتبار كثرة المشتركين فيه سنلاحظ تحيينه في كلّ حين وفق ما تتطلّبه حاجات المشترك، كإضافة أيقونة الكاميرا التي قربت الافتراض من الواقع، وإضافة مختلف الإيقونات من مثل : أحببته - أدعمه – أحزنني- أغضبني- وكذا الأيقونات الدالّة على الضحك والدّهشة**(صورة 4)**، وهو ما يدلّ على أنّ الموقع يسعى إلى أنْ يكتسح جزءاً من الواقع بهذه العواطف الاصطناعية، والتي مهما اِدّعت إدارة هذه المواقع أنّها تنويعات وجدانيّة تتعلّق بالمحتوى الجادّ كما تتعلّق بالمحتوى العبثي؛ فإنّها أدّت إلى تطوّر هائل في العلاقات الافتراضيّة، والتي تبدأ بتعليق عابر على محتوى جادّ، لتتحوّل في النهاية إلى علاقة جنسية ذات حضور كامل، ففي بلدان يسيطر فيها الكبت وسلطة الأعراف على كلّ تقاسيم المجتمع، ويقترب الزواج فيها من المستحيل؛ لا يجد أفراد هذا وسيلة لكسر الريتم المملّ لنبض القلب، إلّا اصطناع العلاقات الافتراضية، والتي وإنْ ظهرت على أنّها بديلٌ بشكلٍ ما عن الزواج، إلّا أنّها في حقيقتها خرق أسود على جدار الروح بما تستهلكه من المخزون الروحي والعاطفي والفكري دون أنْ تقدّم في النهاية ثمرة ملموسة، إنّه الهروب العابث نحو المزيد من الشّقاء، تقول ديما مصطفى سكران مشيرةً إلى عبثية هذه العلاقات« وهذا الوجود الشبحي لهؤلاء في حياتنا سيجعلنا دوما نعيش معه مشاعرنا بشكل منقوص، وغير مكتمل، في حين أننا

نحتاج أن نعيشها بشكل كامل وحقيقي، إننا نعيش في الحقيقة مع أشباح، يظلون يؤكدون وجودهم في حياتنا من خلال رنات "واتس أب" أو "مسنجر" أو اتصالات "سكايب"! وهذا الوجود الشبحي يتحول إلى جدار مصمت يمنعنا من استقبال أي دعوة حقيقية للحب في عالمنا الحقيقي، لأننا نشعر مع هؤلاء الشركاء -غير الموجودين - بامتلاء عاطفي كاذب، بوهمِ اِمتلاءٍ لن يكون يوما اِمتلاءً حقيقيا! »[1]

.

صورة (4)

ت. العجائبي نتيجةً لغياب المعرفة :

الميل إلى العجائبيّ والخارق نسق إنسانيّ متجذّر في النفس الإنسانية، له ما يبرّره من الناحية النفسية من الفضول الذي يجتاح الإنسان لاستكشاف وفهم الظواهر التي تخرج عن حدود العادي، كذلك ما ماكرّسه الفكر الديني في تقديمه لعالم الغيب كعوالم أخرى لها نواميسها الخاصّة، والحديث معجزات الأنبياء، وكرامات القدّيسين والأولياء، ينضاف إلى هذا ما يسود في المجتمعات المتخلّفة من ميل اضطراريّ إلى الميتافيزيقا حين تغيب المعرفة، لذلك تنتشر في هذه المجتمعات كلّ أنواع العرافة والكهانة والسّحر، لأنّها تقدّم لهم الطمأنينة التي لم يجدوها في ظلّ الغياب الفادح للعقل والمعرفة .

ليس في إمكان مواقع التواصل الاجتماعيّ أنْ تغفل عن العجائبيّ كنسق فعّالٍ في تمرير قناعاتها إلى الجمهور، من هنا نرى ذلك الكمّ الهائل من المتابعين لحسابات الرقاة والمتنبئين والسّحرة، الذين يعدون الناس بالطمأنينة التي يفتقدونها، ولا تكتفي هذه المحتويات بكونها تدرّ عائداً خياليّاً على أصحابها؛ بل إنّها تمارس الدعاية المذهبيّة كأوّل اِهتماماتها، وإلّا كيف يُفَسَّرُ مثلاً محتوىً يتضمّن نجاح قسٍّ في إخراج جنّي من شخصٍ مصروع برقية الصّليب، يقابل هذا المحتوى نجاح رجل دين مسلم في إخراج جنّي من شخصٍ،مصروعٍ بقوّة القرآن، ناهيك عن حديث الجنّي إمام الكاميرا، وهو ما يجلب ملايين المشاهدات .

[1] ديما مصطفى سكران، الحبّ والجنس عبر الأنترنت ثقب الروح الأسود، https://www.aljazeera.net2019/05/20.

كذلك ما تقدّمه بعض المضامين من المخلوقات الغريبة التي تدعي أنّه عُثِر عليْها في مكانٍ ما، من مثل حورية البحر -(**صورة 5**)- والتي - وإنْ كانتْ لا تكرّس في الحقيقة سوى المزيد من الحيرة- فإنّه تقدّم إشباعاً للفضول الإنسانيّ، وتكون بمثابة نسقٍ مضادٍّ لنسق الضّعف الذي يطف عبه اللّاوعي البشري، « وكأنّ الذات تتمنّى أنْ تكون لها مقدرة حورية البحر على اجتياز البحار والمحيطات حتّى تفرّ من الجغرافيا التي تسجنها، وكأنّها تتمنّى أنْ تكون لها قوّة ذلك الجنّي على التخفّي لتمارس حرّيتها دون رقيب »[1] .

شكل(5)

وتتّخذ هذه المضامين التي تهتمّ بالعجائبية طبيعة تبشريّة إشهارية حين يكون لها تعالق مباشر مع المضمون الدينيّ أو المذهبيّ، في الإمكان مثلاً العثور على عشرات الصور لنبتةٍ ما نبتتْ متشكّلة في رسم كتابة اسم الله **(صورة 5،6)**.

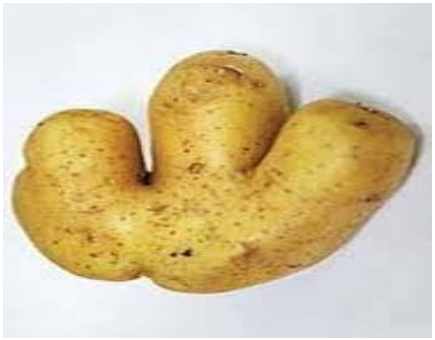

صورة (5)

صورة(6)

1 ابراهيم عجلان أبو سمح، الوهم الجميل، المركز الثقافي الألماني، برلين، ط1، 2001، ص 123

يحصل أنْ يكون هذا حقيقيّاً بمختلف التبريرات العلمية والدينية، بيْد أنّ الوقوف عنده، والتركيز عليه كمعيارٍ ديني يشكّل الجانب الأكبر من الهويّة والشّخصية هو ما يجعل هذا ظاهرةً مرضيّة عند المتلقّين، وبخاصّة أنّ وسائل التواصل هذه تختلف عن باقي وسائل السمعي البصري كالراديو والتلفزة؛ من حيث إنّ المتابع لها متفاعل معها، يستطيع أنْ يوسّع نشرها، وأنْ يمنعها شرعية التواجد من خلال تعليقاته، أو ما يدوّنه عنها .

4. خـاتـمـة :

من خلال ما سبق في الإمكان عرض النتائج التالية :

أنّ الألفية الثالثة شهدت لحظة استسلام الإنسان للرقميات، والتي وإنْ اختصرت عليه الكثير من الجهد الذهنيّ؛ لكنّها بالمقابل أصبحت تشكّل تهديداً وجودياً له من خلال تفوقها عليه في الوعي، وانتزاعها تفويضاً منه للتّحدّث باسمه .

ولمّا كان الدين أهمّ بعد في حياة الإنسان لم يكن لمواقع التواصل أنْ تفوّت فرصة استغلاله من خلال خلقها لخطاب عقائديّ تروّج من خلاله لقناعات تهدف إلى الهيمنة .

يحتل التأثير عبر الجنس والمرأة مساحة واسعة على مواقع التواصل، لاعتبارات تتعلّق بالعلاقة الوجوديّة بين المرأة والرجل أوّلا، وثانياً لكثرة المنتجات التي تتعلّق بالمرأة كمساحيق التجميل ومختلف أنواع الهندام، ويجد آلية التأثير عبر الجنس والمرأة صدىً واسعا في المجتمعات المحافظة، التي تسعى دائما إلى مخاتلة أطواق العرف التقاليد بغية الفوز بلحظة متعة، وهو ما يمثّل الخطر الذي يتربّص بهذه المجتمعات، حيثيستنزف بطريقة ناعمة طاقاتها الفكرية والعاطفية دون أنْ تحصّل نتيجة ملموسة .

يمثّل العجائبيّ جانباً كبيراً من من اهتمام الذات لاعتبارات مختلفة دينيّة ونفسية على وجه الخصوص، ومن ثمّ يسعى هذا العجائبيّ إلى أنْيكون آلية للتأثير والإقناع، ولا يتوقّف هذا العجائبيّ عند الدهشة التي ترتسم على محيّا المتابع، بل يتمدّد ليكتسح ساحة الإشهار والترويج لقناعات مختلفة المرجعيات .

من المهمّ الإشارة إلى أنّ آليات التأثير على مواقع التواصل الاجتماعيّ لا يمكن أن تقتصر على الدين والجنس والعجائبيّ، بل تشمل جميع تفاصيل الحياة واليوميّ، لأنّها أضحت حياة موازية للحياة التقليدية.

5. قائمة المصادر والمراجع :

- ✓ القرآن الكريم

1. المراجع العربية :

- ✓ هيما سعد، النسوية الجذور والتطلعات، دار ابن رشد ، عمان، 2008
- ✓ ابراهيم عجلان أبو سمح، الوهم الجميل، المركز الثقافي الألماني، برلين، ط1، 2001
- ✓ نهى عبد الله السيد، تأملات في مشروع ما بعد الحداثة، الفارابي للنشر والإشهار، بغداد، 2014
- ✓ نظيم ملّا خالد، وهم المدنية المعاصرة، تر سعاد الكيلاني، مطبعة سعدون، الكاظمية، ط2، 2020

2. الدوريات :

- ✓ علياء التاجوري، الإنسان إلى أين؟، مجلة همسات فلسفية، عدد 9، يناير 2021

3. المواقع الإلكترونية :

- ✓ https://tadween.alhadath.ps/ .
- ✓ https://www.aljazeera.net
- ✓ https://www.alquds.co.uk